

الطبيب اسحق بن عمران مؤسس مدرسة طب القيروان ودوره في تأسيس الطب الأوربي

الحديث

Doctor Isaac bin Omran, founder of the Kairouan School of Medicine, and his role in establishing modern European medicine

صالح محروس محمد	وفيقه أحمد سعيد *
جامعة بني سويف مصر	وزارة التربية والتعليم الكويت
salehmahrous@gmail.com	wafiq1983@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/01/02 تاريخ القبول: 2023/01/28

الملخص:

لقد ظهرت في تاريخ الطب العربي ثلاث مدارس رئيسية هي بغداد وقرطبة والقيروان. فكانت القيروان أولى المراكز العلمية في المغرب يليها قرطبة في الأندلس ثم فاس في المغرب الأقصى ولقد قصدها أبناء المغرب وغيرها من البلاد المجاورة وكان مسجد عقبة الجامع ومعه بقية مساجد القيروان قد شهدوا حلقات للتدريس وأنشأت مدارس جامعة أطلقوا عليها دور الحكمة واستقدموا لها العلماء والفقهاء ورجال الدعوة والدين من الشرق فكانت هذه المدارس وما اقترنت بها من انصراف القائمين عليها للدرس والبحث عاملاً في رفع شان علوم العرب وثقافتهم، وانشئت في القيروان المكتبات العامة والمكتبات الملحقة بالجوامع والمدارس والزوايا وكانت مفتوحة للدارسين وتضم أمهات نفائس الكتب ومن أشهر مكتبات القيروان بيت الحكمة الذي أنشاه الأمير إبراهيم ابن احمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب أمير دولة الأغلبية (184-296هـ)، ومن علماء مدرسة القيروان الطبية المشهور اسحاق بن عمران الملقب بالساعة والطبيب اسحاق بن سليمان العبري والطبيب زياد بن خلفون بن الأغلب (المتوفي عام 308 هـ) والطبيب أبو الفضل بن الفضل بن علي بن ظفر (المتوفي عام 323 هـ) ومن الأطباء سهيل بن دونش ولقي الطبيب أحمد بن الجزار القيرواني شهرة عالمية في القرن الرابع الهجري حيث ألف أكثر من خمسة عشر مؤلفاً في الطب وترجم من اليونانية كتب كثيرة وضمت مكتبته كتب نادرة من المؤلفات اليونانية والعربية قيل أن وزنها بعد وفاته خمسة وعشرون قنطاراً من الكتب، ومن كتبه في الطب المعدة وأمراضها ومدواتها حققه سلمان قطايه ونشره في بغداد دار الرشيد 1980م وكتابه رسالة في البول وأبدال العقاقير وكتاب طب الفقراء والمساكين وغيرها من الكتب الكثيرة. وترجم كتب علماء مدرسة طب القيروان إلى اللاتينية قسطنطين الأفريقي ووصلت كتبهم الطبية إلى صقلية التي فتحت في عهد دولة الأغلبية عام 212هـ على يد القائد أسد بن الفرات فكانت أساس الطب الأوربي الحديث. ثم أخذت علماء أسبانيا وإيطاليا من ترجمات قسطنطين الأفريقي الطبية التي سارت أساساً لكتب الطب الحديث في أوربا كلها.

كلمات مفتاحية: الطب الإسلامي - الطبيب اسحق بن عمران - الطبيب اسحق العبري - الطبيب ابن الجزار - الحضارة الإسلامية - القيروان

Abstract: Three main schools have appeared in the history of Arab medicine: Baghdad, Cordoba, and Kairouan. Kairouan was the first scientific center in Morocco, followed by Cordoba in Andalusia, and then Fez in Morocco, Al-Aqsa. It was visited by the people of Morocco and other neighboring countries. The Aqabat Al-Jami Mosque, along with the rest of the mosques of Kairouan, witnessed seminars for teaching. University schools were established, which they called Houses of Wisdom, and they brought in scholars, jurists, preachers, and clerics. From the East, these schools and the accompanying departure of those in charge of them for study and research were a factor in raising the status of Arab science and culture. Public libraries and libraries attached to mosques, schools and corners were established in Kairouan and were open to scholars and included mothers of valuable books. One of the most famous libraries in Kairouan is the House of Wisdom, which was established by Prince Ibrahim Ibn Ahmed bin Muhammad bin Al-Aghlab bin Ibrahim bin Al-Aghlab, Emir of the Aghlabid state (184-296 AH)

Among the scholars of the Kairouan Medical School are the famous doctor Ishaq bin Imran, nicknamed the Hour, the doctor Ishaq bin Suleiman al-Abri, the doctor Ziyad bin Khalfun bin al-Aghlab (who died in 308 AH) and the doctor Abu al-Fadl bin Ali bin Zafar (who died in 323 AH). Ahmad ibn al-Jazzar al-Qayrawani became world famous in the fourth century AH, as he authored more than fifteen books on medicine and translated many books from Greek. Edited by Salman Qataya and published in Baghdad by Dar Al-Rashid in 1980. He also wrote a treatise on urine and drug replacements, a book on medicine for the poor and needy, and many other books. The books of the scholars of the Kairouan School of Medicine were translated into Latin by Constantine the African, and their medical books reached Sicily, which was opened during the reign of the Aghlabid state in 212 AH by the leader Asad bin Al-Furat, and it was the basis of modern European medicine. Then the scholars of Spain and Italy took from the medical translations of Constantine the African, which became the basis for the books of modern medicine in all of Europe.

First: the School of Medicine in Kairouan Second: Doctor Ishaq bin Omran and his efforts in medicine and pharmac

Third: The students of Ibn Imran and their efforts in medicine and pharmacy Fourth, Constantine the African and the translation of the medical books of Kairouan school scholars Fifth: The impact of Kairouan School of Medicine on modern European medicine.

Keywords: Islamic medicine - Doctor Ishaq ibn Imran - Doctor Ishaq al-Abri - Doctor Ibn al-Jazzar - Islamic civilization - Kairouan

● مقدمة:

لم يكن قبل وصول العرب إلى تونس إلاّ بعض القرى المتفرقة هنا وهناك الضعيفة المبني، القليلة المساكن، وبعض الحصون المتلاشية في البراري. ولكن العرب حينما قدموا فاتحين لم يجدوا سوى خرائب مهدامة تعلوها مسحة من زخرف قديم أبلاه الدهر. وعبثاً يحاول بعض المغرضين من كتاب الافرنج اليوم إظهار البلاد التونسية في مظهر العمران الزاخر، والزخرف البديع، وغزارة التمدن قبيل قدوم العرب وحين استيلائهم على افريقية... فلو كانت في البلاد عاصمة قديمة تناسب الفاتحين لما ارتادوا سواها كما فعلوا بدمشق الشام، وطليطلة، ثم قرطبة بالأندلس⁽¹⁾.

وأول مدينة أسسها العرب في تونس كانت القيروان أسسها القائد عقبة ابن نافع عام 50هـ. ونزل قوم من قبيلته «فهر» وهي من بطن قريش في الجهة الشمالية من الجامع، وعرف الحي باسم منازل الفهريين. ثم أعاد بناؤها عام 62 هـ عند ما عاد ثانية إلى أفريقيا. وتوسعت المدينة وازدانت وازدهرت وجدد كبار الولاة الأمويين وزادوا في معالمها فبنى حسان بن النعمان ديواناً للجند، وآخر للخراج، وديواناً للرسائل. وأسس موسى بن نصير داراً لضرب العملة، ونظم أسواقها للتجارة والصناعة وكافة المهن الأمير يزيد حاتم المهلي وبعد مرور مئة عام أصبحت القيروان مدينة كبيرة شهيرة تنافس البلدان الإسلامية في الشرق والغرب⁽²⁾.

وفي أواخر القرن الثاني للهجرة نال بنو الأغلب الاستقلال بإمارة أفريقية، ولم ينسلخوا عن الخلافة في بغداد، فوصلت القيروان في عصر الأغلبة إلى مستوى رفيع من الحضارة والمدنية. وأنشأ الأغلبة مدينتين مجاورتين للعاصمة القيروان وهما العباسية ثم رقادة واتخذوها مقراً لسكناهم ومركزاً لمصالح الدولة فيهما. ولم يؤثر ذلك على قيمة القيروان ومركزها من الناحية العلمية الثقافية بحيث كانت تجتذب إليها الطلاب من كل حذب وصوب.

1. مدرسة الطب في القيروان

ففي القيروان أنشأت مكتبة بيت الحكمة على غرار بيت الحكمة التي أسسها هارون الرشيد في بغداد حيث كان هذا البيت نواة مدرسة الطب القيروانية التي أثرت الحركة العلمية في المغرب لزمن طويل واستقدم الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلي أعداداً من علماء الفلك والطب والنبات والهندسة والرياضيات من المشرق والمغرب وزوده بالآلات الفلكية وكان يبعث كل عام وأحياناً كل ستة أشهر بعثة إلى بغداد هدفها تجديد ولائه للخلافة العباسية واقتناء نفائس الكتب المشرقية في الحكمة والفلك مما لا نظير له في الغرب وعلى هذا النحو أمكنه في أمد قصير أن يقيم في رقادة نموذجاً مصغراً من بيت الحكمة في بغداد الذي كان معهداً علمياً للدرس والبحث العلمي والترجمة من اللاتينية ومركزاً لنسخ المصنفات وقد كان يتولى الترجمة من اللاتينية عدد من الرهبان المستعربين الذي استقدمهم الأمير من صقلية. ولم يلبث أن وقع بيت حكمة القيروان في أيدي الدولة العبيدية (الفاطمية) في المغرب في عام 296هـ/ 909م التي ورثت بدورها خزائن الكتب في مدرسة القيروان التي أدت دورها في الحركة العلمية طيلة حكم الدولة الأغلبية والدولة الفاطمية⁽³⁾.

وعندما استولى الفاطميون على تونس أهملت القيروان لأنها كانت معقلاً من معاقل السنة المالكيين. وبنى عبيد الله عاصمة جديدة له أسماها المهدية. ولكن تأثير القيروان كان قد ذهب بعيداً إلى فاس وقرطبة. وكان في القيروان يمارستان هو الأول من نوعه في أفريقية أنشئ في مكان يدعى «الدمنة» فأصبح اسم المستشفى «الدمنة»⁽⁴⁾.

(1) عبد الوهاب حسن حسني، وراقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية القسم الأول، مكتبة المنار، تونس، الطبعة الثانية، 1972، ص 2.

(2) عبد الوهاب حسن حسني، مرجع سابق ص 2

(3) أحمد محمد الجمال: جهود ابن الجزار الطبية وأثرها على الغرب الأوربي المؤتمر العلمي السادس دور العلماء المسلمين في خدمة الحضارة الإنسانية، الجزء الأول جامعة قناة السويس، القاهرة 2014، ص 95 نقلاً عن حسن حسني عبد الوهاب، ص 242 وما بعدها

(4) عبد الوهاب حسن حسني: ص 273.

ويبدو أنه كان كبيراً فيه أكثر من ثلاثين غرفة للمرضى، وكان يزوره الأطباء، كما كان يزوره أمراء الأغالبية في المناسبات لتفقد أحوال المرضى وأشهر من اهتم به هو زيادة الله الأكبر الأغلب. كما ألحقت به مجذمة. وكان الوجهاء والأغنياء يتبرعون بالمال والعطايا لمساعدته. وظل المستشفى قائماً حتى خراب القيروان من جراء الزحفة الهلالية في منتصف القرن الخامس للهجرة. ومن المؤسف أنه لم يصلنا وصف مفصل ودقيق للبيمارستان القيرواني ولكنه كان لا يقل تنظيمًا عن مثيلاته من بيمارستانات الشرق كالبيمارستان العضدي (5).

والمعلوم أنه كان لكل بيمارستان أوقاف كثيرة تموله علاوة على الهدايا والهبات، كذلك كان يعمل به عدد وافر من الأطباء كل في اختصاصه (6): كالجراحة، والكحال، والطب الداخلي. وكان للأطباء رئيس وفيه قسم للأمراض السارية الخطرة كالجدام، وقسم للمجانين. وصيدلية يقوم عليها صيدلي ومساعدون. وكان البيمارستان عبارة عن مدرسة طبية أيضاً فيها أساتذة كبار وطلاب من مختلف الأصقاع والأقطار، ومكتبات عامرة (7).

ونظراً للمكانة التي كان يتمتع بها ابن الجزار فلا شك بأنه كان أستاذاً في هذا البيمارستان الشيء الذي دفعه إلى تأليف الكتب العديدة لحاجة الطلاب لها. كذلك طلابه الذين تخرجوا عنه، والأطباء الكثيرون الذين ذكروا مؤلفاته في كتبهم. وهكذا تشكلت في القيروان مدرسة طبية تدعى بالمدرسة الطبية القيروانية. وتضم «المدرسة القيروانية الطبية» لفيقاً من مشاهير الأطباء العرب. وكان أول من بدأ الطب فيها اسحاق بن عمران (8) كما سنوضح في المحور التالي.

2. الطبيب اسحق بن عمران وجهوده في الطب والصيدلة

ويعد من أهم مصادر دراسة العلوم كتاب ابن جلجل الأندلسي (ت 384 هـ / 994 م) طبقات الأطباء والحكماء الذي ألفه عام 377 هـ وتطور حركة التأليف في القرن الرابع الهجري ولولا هذا المصدر الهام لما توصلنا لمعرفة علماء مدرسة القيروان في مجال الطب والذي نقل عنه العديد من المؤرخين منهم ابن أبي أصيبعة صاحب كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء (9) ووضحت المصادر التي تناولت تاريخ مدرسة طب القيروان أن مؤسس هذه المدرسة هو إسحق بن عمران وتلمذ على يديه العديد من الأطباء منهم اسحاق العبري والطبيب بن الجزار وغيرهم.

يعد الطبيب إسحق بن عمران مؤسس مدرسة الطب بالقيروان فيقول عنه ابن أبي أصيبعة نقلاً عن ابن جلجل الأندلسي (طبيب مشهور وعالم مذكور ويعرف باسم سَاعَة وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ حَسَانٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ جُلْجُلٍ أَنَّ إِسْحَاقَ بْنَ عَمْرَانَ مُسْلِمَ النُّحْلَةِ وَكَانَ بَغْدَادِي الْأَصْلَ وَدَخَلَ أُفْرِيقِيَّةً فِي دَوْلَةِ زِيَادَةَ اللَّهِ بْنِ الْأَعْلَبِ التَّمِيمِيِّ وَهُوَ اسْتَجْلَبَهُ وَأَعْطَاهُ شُرُوطاً ثَلَاثَةً لَمْ يَفِ لَهُ بِأَحَدِهَا بَعَثَ إِلَيْهِ عِنْدَ وُجُودِهِ عَلَيْهِ رَاحِلَةً أَقْلَتَهُ وَأَلْفَ دِينَارٍ لِنَفَقَتِهِ وَكَتَابَ أَمَانَ يَخْطُ يَدَهُ أَنَّهُ مَتَى أَحَبَّ الْإِنْصِرَافَ إِلَى وَطَنِهِ انْصَرَفَ وَبِهِ ظَهَرَ الطَّبُّ بِالْمَغْرِبِ وَعَرَفَتِ الْفَلَسَفَةُ وَكَانَ طَبِيبًا حَادِقًا مَتَمِّمًا بِتَأْلِيفِ الْأَدْوِيَةِ الْمُرَكَّبَةِ بِصِيرًا بِتَفْرِيقِ الْعِلَلِ أَشْبَهَ الْأَوَائِلَ فِي عِلْمِهِ وَجُودَةِ قَرِيبَتِهِ اسْتَوْطَنَ الْقَيْرَوَانَ حِينًا وَأَلْفَ ثَلَاثَةِ عَشَرَ كِتَابًا كَمَا ذَكَرَ ابْنُ أَبِي أَصِيبَعَةَ هِيَ:

كتاب نزهة النفس لم يسبق إلى مثله

كتابه في النبض

كتاب الفصد

كتاب الأدوية المفردة

(5) عيسى بك أحمد: تاريخ البيمارستانات في الاسلام. المطبعة الهاشمية. دمشق 1939. ص: 178.

(6) عيسى بك أحمد: ص 18. 43.

(7) سلمان قطاية: التعليم الطبي عند العرب. مجلة «الباحث»، العدد الرابع آذار 1979، باريس.

(8) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء. دار الحياة. بيروت. 1945. ص 278.

(9) أحمد محمد الجمال: جهود ابن الجزار الطبية وأثرها على الغرب الأوربي المؤتمر العلمي السادس دور العلماء المسلمين في خدمة الحضارة الإنسانية جزء جامعة الإسماعيلية القاهرة 2014

كتاب العنصر والتمام في الطب

مقالة في الاستسقاء

مقالة وجيزة كتب بها إلى سعيد ابن توفيل المتطبب في الإبانة عن الأشياء التي يقال أنها تشفي الأسقام وفيها يكون البرء مما أراد إتخافه به من نواير الطب ولطائف الحكمة.

كتاب في المالنخوليا

مقالة في علل القولنج وأنواعه وشرح أدويته وهي الرسالة التي كتب بها إلى العباس وکیل إبراهيم بن الأغلب.

كتاب في البول من كلام أبقراط وجالينوس وغيرهما.

كتاب جمع فيه أقاويل جالينوس في الشراب

مسائل له مجموعة في الشراب على معنى ما ذهب إليه أبقراط وجالينوس في المقالة الثالثة من كتاب تدبير الأمراض الحادة وما ذكر فيها من الخمر كلام له في بياض المعدة ورسوب البول وبياض المنى (10).

فلقد كانت مؤلفات اسحاق بن عمران مؤسس مدرسة الطب في القيروان هي الأساس الذي بني عليه تلامذته من بعده علمهم ومؤلفاتهم في الطب ثم ترجمت إلى اللغة اللاتينية في صقلية فكانت أساس الطب الأوربي الحديث. وجمعت مؤلفاته بين الطب والصيدلة وهو أول من فصل بينهما.

3. تلاميذ ابن عمران وجهودهم في الطب والصيدلة:

3.1 - إسحق بن سُلَيْمَانَ الإسرائيلي:

من أشهر أطباء مدرسة القيروان الطبيب إسحق بن سُلَيْمَانَ الإسرائيلي أو العبري وهو تلميذ اسحاق بن عمران وأستاذ ابن الجزار والذي قال عنه ابن جليجل الأندلسي (كَانَ طَبِيبًا فَاضِلًا بَلِيعًا عَالِمًا مَشْهُورًا بِالْحَذَقِ وَالْمَعْرِفَةِ جِدَّ التَّصْنِيفِ عَالِي الْهِمَّةِ وَيَكْنَى أَبَا يَغْقُوبَ وَهُوَ الَّذِي شَاعَ ذِكْرُهُ وَانْتَشَرَتْ مَعْرِفَتُهُ بِالْإِسْرَائِيلِيِّ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَكَانَ يَكْحُلُ مِنْ أَوْلِيَّتِهِ ثُمَّ سَكَنَ الْقَيْرَوَانَ وَلاَزَمَ إِسْحَاقَ بْنَ عِمْرَانَ وَتَتَلَمَّذَ لَهُ وَخَدَمَ الْإِمَامَ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبِيدَ اللَّهِ الْمُهَدِّيَّ صَاحِبَ إِفْرِيقِيَّةٍ بِصَنَاعَةِ الطِّبِّ وَكَانَ إِسْحَاقُ ابْنَ سُلَيْمَانَ مَعَ فَضْلِهِ فِي صِنَاعَةِ الطِّبِّ بَصِيرًا بِالْمَنْطِقِ مُتَصَرِّفًا فِي ضُرُوبِ الْمَعَارِفِ وَعَمَرَ عَمْرًا طَوِيلًا إِلَى أَنْ نَيْفَ عَلَى مِائَةِ سَنَةٍ وَلَمْ يَتَّخِذْ امْرَأَةً وَلَا أَعْقَبَ وَلَدًا وَقِيلَ لَهُ

(10) ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس (المتوفى: 668هـ: عيون الأنباء في طبقات الأطباء تحقيق د نزار رضا دار الحياة، بيروت، ص 478، 479، ويذكر بن جليجل ونقله عنه ابن أبي أصيبعة قصة صلبه فيقول) ودارت له مع زيادة الله بن الأغلب محنة أوجبت الوجدة بينهما حتى صلبه ابن الأغلب وكان إسحق قد استأذنه في الانصراف إلى بغداد فلم يأذن له وكان إسحق يشاهد أكل ابن الأغلب فيقول له كل هذا ودع هذا حتى ورد على ابن الأغلب حدث يهودي أندلسي فاستقر به وخف عليه وأشهدته أكله فكان إسحق إذا قال له أترك هذا لا تأكله قال الإسرائيلي يصعب عليك وكان بائن الأغلب علة التهمة وهي ضيق النفس فقدم بين يديه لبنًا مريًا فهم يأكله فنهأه أسحق وسهل عليه الإسرائيلي فوافقه بالأكل فعرض له في الليل ضيق النفس حتى أشرف على الهلاك فأرسل إلى إسحق وقيل له هل عندك من علاج فقال قد نهيتك فلم يقبل مني ليس عندي علاج فقيل لإسحق هذه خمسمائة مثقال وعالجه فأبى حتى بلغ إلى ألف مثقال فأخذها وأمر بإحضار الثلج وأمره بالأكل منه حتى تملأ ثم قيأه فخرج جميع اللبن قد تجبن ببرد الثلج فقال إسحق أيها الأمير لو دخل هذا اللبن إلى أنابيب رنتك ولحج فيه أهلكك بضيق النفس ولكنتي أجهدته وأخرجته قبل وصوله فقال زيادة الله باع إسحق روحي في البدء أقطعوا رزقه فلما قطع عنه الرزق خرج إلى موضع فسبح من رحاب القيروان ووضع هنالك كرسيًا ودواة وقراطيس فكان يكتب الصفات كل يوم يدناير فقيل لزيادة الله عرضت لإسحق الغنى فأمر بضمه إلى السجن فتبعه الناس هنالك ثم أخرجه بالليل إلى نفسه وكانت له معه حكايات ومعاتبات احتقنته عليه لفرط جوره وسخف رأيه فأمر بفصده في ذراعيه جميعًا وسال دمه حتى مات ثم أمر به فصلب ومكث مصلوبًا زمانًا طويلًا حتى عشي في جوفه طائر وكان مما قال لزيادة الله في تلك الليلة والله إنك لندعي بسيد العرب وما أنت لها بسيد ولقد سقتك منذ دهر دواء ليفعلن في عقلك وكان زيادة الله مخنونا فتدخل ومات (انظر ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق، ص 478.

أَيْسُرُكَ أَنْ لَكَ وَلَدًا قَالَ أَمَا إِذَا صَارَ لِي كِتَابُ الْحَمِيَّاتِ فَلَا يَغْنِي أَنْ بَقَاءَ ذَكَرُهُ بِكِتَابِ الْحَمِيَّاتِ أَكْثَرَ مِنْ بَقَاءَ ذَكَرِهِ بِالْوَلَدِ وَيُرَوَّى أَنَّهُ قَالَ لِي أَرْبَعَةُ كُتُبٍ تَحْيِي ذِكْرِي أَكْثَرَ مِنَ الْوَلَدِ وَهِيَ كِتَابُ الْحَمِيَّاتِ وَكِتَابُ الْأَغْذِيَّةِ وَالْأَدْوِيَّةِ وَكِتَابُ الْبَوْلِ وَكِتَابُ الْأَسْطَقْسَاتِ وَتَوْفِي قَرِيْبًا مِنْ سَنَةِ عَشْرِينَ وَثَلَاثَمِائَةٍ⁽¹¹⁾.

فكانت مؤلفات اسحاق الاسرائيلي كما ذكر ابن أبي أصيبعة الأربعة من أهم المؤلفات التي ألّفت في الطب العربي وكان أشهرها كتاب الحميات الذي كان يعتبره أعز من الولد الذي لم ينجب. وكتابه في الصيدلة (الأغذية والأدوية) التي كانت من أهم المؤلفات التي ترجمت إلى اللاتينية وكانت أساس مدرسة طب سالرنو في صقلية ومنها إلى كافة أوروبا وكانت أساساً لطب الأوربي الحديث.

وعن قصة مجيئة من مصر إلى القيروان قَالَ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْجَزَارِ فِي كِتَابِ أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ يَغْنِي اثْنَدَا دَوْلَةَ الْإِمَامِ أَبِي مُحَمَّدٍ عبيد الله المَهْدِيِّ الَّذِي ظَهَرَ مِنَ الْمَغْرِبِ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمُتَطِيبُ قَالَ لَمَّا قَدِمْتُ مِنْ مِصْرَ عَلَى زِيَادَةَ اللَّهِ بْنِ الْأَعْلَبِ وَجَدْتُهُ مُقِيمًا بِالْجِيُوشِ فِي الْأَرِيْسِ فَرَحَلْتُ إِلَيْهِ فَلَمَّا بَلَغَهُ قُدُومِي وَقَدْ كَانَ بَعَثَ فِي طَلْبِي وَأَرْسَلَ إِلَيَّ بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ وَتَقْوِيَتِ بِهَا عَلَى السَّفَرِ فَأَدْخَلْتُ إِلَيْهِ سَاعَةً وَصُولِي فَسَلِمْتَ بِالْإِمْرَةِ وَفَعَلْتُ مَا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَ لِلْمُلُوكِ مِنَ التَّعْبُدِ فَزَارْتِ مَجْلِسَهُ قَلِيلَ الْوَقَارِ وَالْعَالِبِ عَلَيْهِ حُبُّ اللَّهْوِ وَكُلُّ مَا حَرَّكَ الضَّحْكَ فَابْتَدَأَنِي بِالْكَلَامِ ابْنُ خُنَيْسٍ الْمَعْرُوفُ بِالْيُونَانِيِّ فَقَالَ لِي تَقُولُ إِنَّ الْمُلُوحَةَ تَجْلُو تَجْلُو قُلْتَ نَعَمْ قَالَ وَتَقُولُ إِنَّ الْخَلَاوَةَ تَجْلُو قُلْتَ نَعَمْ قَالَ لِي فَالْخَلَاوَةُ هِيَ الْمُلُوحَةُ وَالْمُلُوحَةُ هِيَ الْخَلَاوَةُ فَقُلْتَ إِنَّ الْخَلَاوَةَ تَجْلُو بِلُطْفٍ وَمَلَاءَمَةٍ وَالْمُلُوحَةُ تَجْلُو بَعْنَفٍ فَتَمَادَى عَلَى الْمَكَابِرَةِ وَأَحْبَبَ الْمَغَالِطَةَ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُلْتَ لَهُ تَقُولُ أَنْتَ حَيٌّ قَالَ نَعَمْ قُلْتَ وَالْكَلْبُ حَيٌّ قَالَ نَعَمْ قُلْتَ فَأَنْتَ الْكَلْبُ وَالْكَلْبُ أَنْتَ فَضَحَكَ زِيَادَةُ اللَّهِ ضَحْكَاً شَدِيداً فَعَلِمْتُ أَنَّ رَغْبَتَهُ فِي الْهَزْلِ أَكْثَرَ مِنْ رَغْبَتِهِ فِي الْجِدِّ قَالَ إِسْحَاقُ فَلَمَّا وَصَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ دَاعِيَ الْمَهْدِيِّ إِلَى رِقَادَةِ أَدْنَانِي وَقَرَّبَ مَنْزِلَتِي وَكَانَتْ بِهِ حَصَاةٌ فِي الْكُلَى وَكَانَتْ أَعْلَاجُهُ بِدَوَاءٍ فِيهِ الْعُقَارِبُ الْمَحْرُوقَةُ فَجَلَسْتُ ذَاتَ يَوْمٍ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ كِتَامَةِ فَسَأَلُونِي عَنْ صَنُوفٍ مِنَ الْعِلَلِ فَكَلِمًا أَجَبْتُهُمْ فَلَمْ يَفْقَهُوا قَوْلِي فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّمَا أَنْتُمْ بَقَرٌ وَلَيْسَ مَعَكُمْ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا الْأَسْمُ فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَلَمَّا دَخَلْتُ إِلَيْهِ قَالَ لِي تَقَابَلِ إِخْوَانَنَا الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كِتَامَةِ بِمَا لَا يَجِبُ وَبِاللَّهِ الْكَرِيمِ لَوْلَا أَنَّكَ عَذَرَكَ بِأَنَّكَ جَاهِلٌ بِحَقِّهِمْ وَبَقَدَرٍ مَا صَارَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَأَهْلُ الْحَقِّ لَأَضْرَبْنَ عُنُقَكَ قَالَ لِي إِسْحَاقُ فَزَارْتِ رَجُلًا شَأْنُهُ الْجِدُّ فِيمَا قَصِدَ إِلَيْهِ وَلَيْسَ لِلْهَزْلِ عِنْدَهُ سَوْقٌ وَإِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ مِنَ الْكُتُبِ كِتَابُ الْحَمِيَّاتِ خَمْسُ مَقَالَاتٍ وَلَمْ يُوجَدْ فِي هَذَا الْمَعْنَى كِتَابُ أَجُودَ مِنْهُ وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ رِضْوَانَ عَلَيْهِ مَا هَذَا مِثَالَهُ أَقُولُ أَنَا عَلِيٌّ بْنُ رِضْوَانَ الطَّبِيبُ إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ نَافِعٌ وَجَمَعَ رَجُلٌ فَاضِلٌ وَقَدْ عَمِلْتُ بِكَثِيرٍ مِمَّا فِيهِ فَوَجَدْتُهُ لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ وَالْمَعُونَةُ كِتَابُ الْأَدْوِيَّةِ الْمَفْرُودَةِ وَالْأَغْذِيَّةِ

كِتَابُ الْبَوْلِ اخْتِصَارُ كِتَابِهِ فِي الْبَوْلِ كِتَابُ الْأَسْطَقْسَاتِ كِتَابُ الْخُدُودِ وَالرُّسُومِ كِتَابُ بُسْتَانِ الْحَكِيمِ وَفِيهِ مَسَائِلُ مِنَ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ كِتَابُ الْمُدْخَلِ إِلَى الْمُنْطِقِ كِتَابُ الْمُدْخَلِ إِلَى صِنَاعَةِ الطِّبِّ كِتَابُ فِي النُّبْضِ كِتَابُ فِي التَّرْيَاقِ كِتَابُ فِي الْحِكْمَةِ وَهُوَ أَحَدُ عَشَرَ مِيمَرًا⁽¹²⁾. وعند ما انتهت دولة الأغالبة، انقلب اسحاق الاسرائيلي عليهم وانضم إلى خدمة عبيد الله المَهْدِيِّ، وكان إلى جانب براعته في الطب بارعاً في المنطق والفلسفة. «وكان معاصروه من يهود افریقیة یجلونه اَجَلًا عَظِيمًا حَتَّى أَنَّهُمْ اسْتَدَوْا إِلَيْهِ رِیَاسَتَهُمُ الدِّینِیَّةَ، وَقَدْ أَلَّفَ لَهُمْ كَثِيرًا مِنَ الْكُتُبِ فِي تَفْسِيرِ تَعَالِيمِهِمْ كَمَا سَنَ لَهُمْ تَقَالِيدَ شَرِعیةٍ سَارُوا

(11) ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس) (المتوفى: 668هـ): عبون الأبناء في طبقات الأطباء، تحقيق د نزار رضا دار الحياة، بيروت، ص 478-479

(12) ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس) (المتوفى: 668هـ): مصدر سابق، ص 478 479

عليها إلى زمن الزخفة الهلالية وبعدها بقليل وله كتب كثيرة، كان يفتخر بأحدها وهو كتاب الحميات الذي ترجمه قسطنطين الأفرقي إلى اللاتينية، وهو الكتاب الوحيد الذي لم ينتحله لنفسه وذكر اسم مؤلفه الحقيقي... ربما لقلة أهميته (13).

3.2. الطبيب ابن الجزار أشهر أطباء مدرسة القيروان الطبية:

ومن أطباء القيروان أيضاً: بنو الجزار أولهم عم أحمد، الذي تتلمذ على ابن عمران وتلميذه الاسرائيلي، كما أخذ عنه أحمد وصفات طبية عديدة يذكرها في كتبه. وابراهيم بن الجزار، والد أحمد، كان كحاًلاً ويعمل مع أخيه. ومن أطباء المدرسة القيروانية أيضاً زياد بن خلفون، وخدم المهدي. ويصفه ابن عذاري بقوله: «وكان زياد بن خلفون عالماً بالطب حسن الذهن فيه وكان عبيد الله قد احتاج إلى زياد فقربه من نفسه». وقتله بعض حساده في القيروان عام 308 هـ / 920 م.

ومن المعلوم أن أطباء ذلك الزمان كانوا يجمعون العلم والأدب والفلسفة، إلا أن ابن ظفر غلب عليه الأدب، إذ كان شاعراً وأديباً، قال عنه ابن عذاري «كان أديب دهره، وطريف عصره، علماً وفقهاً وأديباً ووفاء» ولم تقتصر شهرة وتأثير وفضل المدرسة القيروانية على أفريقية (14).

وابن الجزار هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد ويعرف بابن الجزار من أهل القيروان طبيب ابن طبيب وعمه أبو بكر طبيب وكان ممن لقي إسحاق بن سُلَيْمَان وصحبه وأخذ عنه وكان ابن الجزار من أهل الحفظ والتطلع والدراسة للطب وسائر العلوم حسن الفهم لها وقال سُلَيْمَان بن حسان المَعْرُوف بابن جلال إن أحمد بن أبي خالد كان قد أخذ لنفسه مأخذاً عجيباً في سمته وهديه وتعدده ولم يحفظ عنه بالقيروان زلة قط ولا أخذ إلى لذة وكان يشهد الجنازات والعرائس ولا يأكل فيها ولا يركب قط إلى أحد من رجال أفريقية ولا إلى سلطانهم إلا إلى أبي طالب عم معد وكان له صديقاً قديماً فكان يركب إليه يوم الجمعة لا غير وكان ينهض في كل عام إلى رابطة على البحر المستنير وهو موضع مرابطة مشهور البركة مذکور في الأخبار على ساحل البحر الرومي فيكون هنالك طول أيام القبط ثم ينصرف إلى أفريقية وكان قد وضع على باب داره سقيفة أقعد فيها غلاماً له يسمى برشيق أعد بين يديه جميع المعجنات والأشربة والأدوية فإذا رأى القوارير بالعداة أمر بالجواز إلى الغلام وأخذ الأدوية منه نزاهة بنفسه أن يأخذ من أحد شيئاً قال ابن جلال حدثني عنه من أثق به قال كنت عنده في دهليزه وقد غص بالناس إذ أقبل ابن أخي النعمان القاضي وكان حدثاً جليلاً بأفريقية يستخلفه القاضي إذا منعه مانع عن الحكم فلم يجد في الدهليز موضعاً يجلس فيه إلا مجلس أبي جعفر فخرج أبو جعفر فقام له ابن أخي القاضي على قدم فما أقعده ولا أنزل وأراه قارورة ماء كانت معه لابن عمه ولد النعمان واستوفى جوابه عليها وهو واقف ثم نهض وركب وما كدح ذلك في نفسه وجعل يتكرر إليه بالماء في كل يوم حتى برئ العليل قال الذي حدثني فكنت عنده ضحوة نهار إذ أقبل رسول النعمان القاضي بكتاب شكره فيه على ما تولى من علاج ابنه ومعه منديل بكسوة وثلاثمائة مثقال فقرأ الكتاب وجاوبه شاكرًا ولم يقبض المال ولا الكسوة فقلت له يا أبا جعفر رزق ساقه الله إليك قال لي والله لا كان لرجال معد قبلي نعمة وعاش أحمد بن الجزار نيفاً ومائتين سنة ومات عتيا بالقيروان ووجد له أربعة وعشرون ألف دينار وخمسة وعشرون قنطاراً من كتب طبية وغيرها وكان قد هم بالرحلة

(13) ابن جلال (أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي): طبقات الأطباء والحكماء ألفه سنة 377هـ يليه تاريخ طبقات الأطباء والفلاسفة لإسحاق بن حنين المتوفي عام 298 هـ، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، ط 2، القاهرة 1405، هـ 1985م، ص 87

(14) ابن جلال (أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي): طبقات الأطباء والحكماء ألفه سنة 377هـ يليه تاريخ طبقات الأطباء والفلاسفة لإسحاق بن حنين المتوفي عام 298 هـ تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة ط 2 القاهرة 1405 هـ 1985م، ص 84.

إِلَى الأندلس وَلَمْ يَنْفِذ ذَلِكَ وَكَانَ فِي دَوْلَةِ مَعْدٍ (15).

وَقَالَ كَشَاجِمُ يَمْدَحُ أَبَا جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنَ الْجَزَارِ وَيَصِفُ كِتَابَهُ الْمَعْرُوفَ بِزَادِ الْمُسَافِرِ أَبَا جَعْفَرٍ أَبَقِيَتْ حَيًّا وَمَيِّتًا ... مَفَاخِرُ فِي طَهْرِ الزَّمَانِ
رَأَيْتُ عَلَى زَادِ الْمُسَافِرِ عِنْدَنَا ... مِنْ النَّاطِرِينَ الْعَارِفِينَ زَحَامًا
فَأَيَقَنْتُ أَنَّ لَوْ كَانَ حَيًّا لَوْقَتَهُ ... يَحْنَا لَمَّا سَمِيَ التَّمَامَ تَمَامًا
سَاحِدُ أَفْعَالًا لِأَحْمَدَ لَمْ تَزَلْ ... مَوَاقِعُهَا عِنْدَ الْكِرَامِ كِرَامًا.

وترك ابن الجزار من الكتب العديد كتاب في علاج الأمراض ويعرف بزاد المسافر مجلدان وكتاب في الأدوية المفردة ويعرف باعتماد كتاب في الأدوية المركبة ويعرف بالبعية كتاب العدة لطول المدة وهو أكبر كتاب وجدناه له في الطب. وحكى صاحب جمال الدين القفطي أنه رأى له بقفط كتابا كبيرا في الطب اسمه قوت المقيم وكان عشرين مجلدا كتاب التعريف بصحيح التاريخ وهو تاريخ مختصر يشتمل على وفيات علماء زمانه وقطعة جميلة من أخبارهم رسالة في النفس وفي ذكر اختلاف الأوائل فيها.

كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها

كتاب طب الفقراء

رسالة في إبدال الأدوية

كتاب في الفرق بين العلل التي تشبه أسبابها وتختلف أعراضها

رسالة في التحذر من إخراج الدم من غير حاجة دعت إلى إخراجها

رسالة في الزكام وأسبابه وعلاجه

رسالة في التوم واليقظة

مجربات في الطب مقالة في الجذام وأسبابه وعلاجه

كتاب الخواص

كتاب نصائح الأبرار

كتاب المختبرات

كتاب في نعت الأسباب المولدة للوباء في مصر وطريق الحيلة في دفع ذلك وعلاج ما يتخوف منه رسالة إلى بعض إخوانه في الاستهانة بالموت

رسالة في المقعدة وأوجاعها

كتاب المكمل في الأدب

كتاب البلغة في حفظ الصحة

مقالة في الحمامات

كتاب أخبار الدولة يذكر فيه ظهور المهدي بالمغرب

كتاب الفصول في سائر العلوم والبلاغات⁽¹⁶⁾

كان ابن الجزار ذا اختصاصات طبية متنوعة ومعرفة عميقة بتلك الاختصاصات فقد كان ذا علم بطب الأطفال وطب المشايخ وطب الفقراء وأمراض المعدة وأمراض الجلد وأمراض النساء وأمراض الكلى وأمراض الفم وأمراض مجرى البول وآلات التناسل وأمراض الرأس والأمراض الباطنية والجهاز العصبي وكان في ميدان الصيدلة عالماً بالأدوية المفردة البسيطة والأدوية المركبة وأبدال الأدوية السامة ومنافع الحيوان ومصالح الأغذية وطبائع المعادن ومع ذلك كان طبيباً وصيدلياً ممارساً فقد كان له في منزله عيادة يستقبل فيها المرضى ويعالجهم وأقام صيدلية في منزله كان يعد بها الأدوية المركبة والأشربة والمعاجين والمراهم والأقراص⁽¹⁷⁾

يعد ابن الجزار أول من فصل بين الطب والصيدلة في الممارسة والتأليف وكانت له مدرسة طبية بالقيروان وانتشرت كتبه في المشرق والمغرب ومن تلامذته كما يذكر ابن جليل في طبقاته أبو حفص عمر بن بريق الذي قصد القروان وتلمذ علي يد ابن الجزار وهو الذي أدخل إلى الأندلس كتاب زاد المسافر وخدم عبدالرحمن الناصر (300-350 هـ)⁽¹⁸⁾.

وقد نقل العديد من الأطباء العرب عن ابن الجزار في مجال الطب منهم أبو القاسم الزهراوي في كتابه (التصريف لم عجز عن التأليف وابن سينا في القانون في الطب ويونس ابن اسحاق والشريف الإدريسي في الجامع لصفات أشتات النبات وابن البيطار في الجامع لمفردات الأدوية والأغذية⁽¹⁹⁾).

(16) ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس (المتوفى: 668هـ) المصدر السابق، ص 482.

(17) أحمد محمد الجمال: جهود ابن الجزار الطبية وأثرها على الغرب الأوربي المؤتمر العلمي السادس دور العلماء المسلمين في خدمة الحضارة الإنسانية جزء جامعة قناة السويس 2014، ص 93.

(18) ابن جليل، طبقات الأطباء، مصدر سابق، ص 108

(19) أحمد محمد الجمال: مرجع سابق، ص 104، نقلاً عن ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج 2، ص 167

يعتبر ابن الجزار أشهر أطباء مدرسة القيروان فقد ذاع صيته في علاج العديد من الأمراض وألف العديد من الكتب التي ترجمت إلى اليونانية واللاتينية والعبرية فكانت الأكثر انتشاراً وكانت مؤلفاته أساس مدرسة سالرنو في صقلية والتي منها إلى كل أنحاء أوروبا.

3.3 . من تلاميذ ابن عمران:

من أطباء مدرسة القيروان الذين عاصروا الدولة الأغلبية والفاطمية زياد بن خلفون مولى ابن الأغلب (ت 308 هـ) وهو أحد من تولى علومه الطبية على أيدي اسحاق بن عمران وكان ابن خلفون أيام الحكم الأغلبي يضطلع بمعالجة الأمراء والرؤساء والأعيان كما كان يباشر عمله في دمنة القيروان. ومن الأطباء أيضاً أبو الفضل بن الفضل بن علي بن ظفر (ت 323 هـ) الذي تلقى علومه على أيدي اسحاق بن عمران وتلميذه اسحاق بن سليمان ومن الأطباء سهل بن دونش من تلاميذ اسحاق بن عمران الذي صنف مجموعة من الكتب الطبية مثل كتاب (التلخيص في الأدوية المفردة) (20).

4. قسطنطين الأفريقي وترجمة كتب طب مدرسة القيروان:

تسربت معلومات المسلمين في مجال الطب إلى جنوب إيطاليا منذ وقت مبكر يرجع إلى القرن التاسع الميلادي أي قبل عصر قسطنطين الأفريقي بنحو قرنين من الزمان منذ فتح جزيرة صقلية على يد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب عام 212 هـ. فإن التاريخ يشهد أن عهد زيادة الله شهد نهضة في الطب من اعلامها اسحاق بن عمران واستمرت النهضة حتى القرن الرابع على عهد الفاطميين حيث كون إقليم تونس وصقلية وحدة سياسية وحضارية ثم جاءت جهود قسطنطين الأفريقي في ترجمة كتب المسلمين الطبية إلى اللغة اللاتينية⁽²¹⁾. واستمرت صقلية في تحت السيادة العربية نيفاً وقرنين ونصف القرن من (212 هـ - 484 هـ / 827 - 1091 م) وتميزت السيادة العربية على صقلية بالتسامح الديني والارتقاء الحضاري فكانت الجسر الذي انتقلت من خلاله الحضارة الإسلامية إلى⁽²²⁾.

قسطنطين الأفريقي المتوفي 480 هـ / 1087 م ومن المعروف أن نسبة الأفريقي يقصد به تونس ولد في قرطاجة وقدم إلى صقلية بهدف التجارة وتعرف على شقيق الأميرغوزلف (Gisulfo) فكان طبيباً فما كاد قسطنطين يلاحظ فقر آداب الطب باللغة اللاتينية فعكف ثلاث سنوات جمع خلالها كنوز الطب العربي ثم اتجه بهم إلى ساليرنو فكان سبباً في نهضة وتأسيس مدرسة الطب في ساليرنو في إيطاليا⁽²³⁾.

وترجم قسطنطين العديد من كتب الطب العربية إلى اللاتينية مثل كتاب الملكي المعروف أيضاً بالكناش أو كتاب كامل الصناعة الطبية لعلّي بن العباس المجوسي البغدادي الذي قال عنه ابن أي أصبيعة كتاب الملكي كتاب جليل مشتمل على أجزاء الصناعة الطبية علمها وعملها⁽²⁴⁾ وترجم العديد من كتب ابن الجزار الطبية إلى اللغة اللاتينية مثل كتاب زاد المسافر إلى اللغة اللاتينية في القرن الحادي عشر الميلادي بعنوان (viaticum peregrinantis) وأن كان انتحله لنفسه وترجم كتاب الاعتماد في الأدوية تحت اسم (

(20) ابن جلجل، طبقات الأطباء، المصدر السابق، ص 89

(21) أحمد محمد الجمال: المرجع السابق، ص 104

(22) احسان عباس: العرب وصقلية الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت 1975، ص 35.

(23) أحمد محمد الجمال: المرجع السابق، ص 106

(24) ابن أبي أصبيعة: المصدر السابق، ص 319

(liber de simpliciū) وانتحل نفسه أيضاً وكذلك كتاب المعدة وأمراضها وماوتها نقله تحت بعنوان liber de stomach) وقد نشر تحت أعمال الأفريقي في بازل في سويسرا عام 1536م⁽²⁵⁾

ولقى كتاب زاد المسافر شهرة كبيرة حيث ترجمة إلى اللاتينية قسطنطين الأفريقي وإلى اليونانية سيتسيوس وألف كتاب الأدوية المركبة في عشرين جزءاً وكتاب العناية بالطفل الذي حدد فيه أنواع العناية بالطفل من الحمل حتى سن البلوغ⁽²⁶⁾ ظهرت مدرسة ساليرنو في الطب في القرن الحادي عشر الميلادي بجهود قسطنطين الأفريقي وظهر أطباء مثل بترو الصقلي وجوفاني بن قسطنطين الصقلي⁽²⁷⁾.

5. أثر مدرسة القيروان في مدرسة الطب الأوربي الحديث:

حضارة الاسلام أو حضارة العرب اسم حضارة الشرق في القرون الوسطى ولم يكن العرب وحدهم مبتكري هذه الحضارة ولكن جميع سكان الشرق الأدنى اشتركوا فيها حيث آخى الاسلام بينهم للإسلام دين الدولة واللغة العربية لغة الأدب والعلم⁽²⁸⁾.

ولعبت صقلية دوراً هاماً في نقل علوم المسلمين إلى أوروبا حيث استطاع المسلمون أثناء حكمهم لصقلية أن ينقلوا العلوم المتطورة وأساليبهم المستدامة في الزراعة والصناعة والتجارة ولما زال حكم المسلمين عن صقلية قدر الحكام الجدد من المسيحيين أهمية المدنية الاسلامية وقربوا إليهم علماء المسلمين وشجعوا ترجمة الكتب العربية⁽²⁹⁾. كتب علماء المسلمين في العصور المظلمة في أوروبا هي المورد الأساسي الذي أخذت منه أوروبا مالا نهاية له من الأفكار العلمية والفلسفية⁽³⁰⁾.

فكانت تونس وصقلية وحدة سياسية واحدة بعد فتحها على يد القائد أسد بن الفرات في عهد دولة الأغالبة عام 212هـ، وظلت تحت الحكم العربي ما يزيد عن القرنين ونصف. واستمرت النهضة العلمية في القيروان حتى القرن الرابع الهجرية وفي بداية دولة الفاطميين كانت القاهرة عاصمة الدولة الفاطمية اشتهر بها الطبيب أبو الحسن علي بن رضوان وهو مصري المولد من الجيزة وكان رئيس الأطباء في البلاط الفاطمي⁽³¹⁾، وازدهرت الحركة العلمية في العصر الفاطمي بفضل تشجيع الفاطميين للعلماء ففتح المعز لدين الله الفاطمي قصره للعلماء والطلاب وأتاح لهم الاطلاع على الكتب المختلفة في القصر⁽³²⁾.

يعتبر قسطنطين الأفريقي (المتوفي 480هـ/ 1087م) من أشهر مترجمي التاريخ ومن المعروف أن نسبة الأفريقي يقصد به تونس ولد في قرطاجة وقدم إلى صقلية بهدف التجارة وتعرف على شقيق الأمير غوزلف (Gisulfo) فكان طبيباً فما كاد قسطنطين يلاحظ فقر آداب الطب باللغة اللاتينية فعكف ثلاث سنوات جمع خلالها كنوز الطب العربي ثم اتجه بهم إلى ساليرنو فكان سبباً في نهضة وتأسيس مدرسة الطب في ساليرنو في إيطاليا⁽³³⁾.

⁽²⁵⁾ أحمد محمد الجمال مرجع سابق، ص 109

⁽²⁶⁾ سمير يحيى الجمال: الطب والصيدلة المصرية، ج 3، العصر الاسلامي تاريخ المصريين، عدد 156، القاهرة 1999، ص 99.

⁽²⁷⁾ ميكيلي أمارى: تاريخ مسلمي صقلية اعداد محمد سعد ابراهيم، المجلد الثالث، فلورنسا لي موبنيه 3003، ص 669.

⁽²⁸⁾ ف. بارتولد: تاريخ الحضارة الاسلامية، ترجمة حمزة طاهر، دار المعارف، مصر 1966، ص 35.

⁽²⁹⁾ عصام الدين عبدالرؤوف الفقى: معالم تاريخ وحضارة الاسلام، القاهرة، 1998م، ص 318.

⁽³⁰⁾ عبدالنواب يوسف: الحضارة الاسلامية بأقلام غربية وعربية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 2، 1996م، ص 85.

⁽³¹⁾ محمد جمال سرور: مصر في عصر الدولة الفاطمية مكتبة النهضة المصرية الالف كتاب د.ت، ص 225.

⁽³²⁾ محمد جمال سرور: المرجع السابق، ص 221.

⁽³³⁾ أحمد محمد الجمال: المرجع السابق، ص 106.

وترجم قسطنطين العديد من كتب الطب العربية إلى اللاتينية مثل كتاب الملكي المعروف أيضاً بالكناش أو كتاب كامل الصناعة الطبية لعلّي بن العباس المجوسى البغدادى الذى قال عنه ابن أي أصبيعة كتاب الملكي كتاب جليل مشتمل على أجزاء الصناعة الطبية علمها وعملها⁽³⁴⁾، وترجم العديد من كتب ابن الجزار الطبية إلى اللغة اللاتينية مثل كتاب زاد المسافر إلى اللغة اللاتينية في القرن الحادي عشر الميلادي بعنوان (viaticum peregrinantis) وأن كان انتحله لنفسه وترجم كتاب الاعتماد في الأدوية تحت اسم (liber de simplicium) وانتحله لنفسه أيضاً وكذلك كتاب المعدة وأمراضها وموتها نقله تحت بعنوان (liber de stomach) وقد نشر تحت أعمال الأفريقي في بازل في سويسرا عام 1536م⁽³⁵⁾.

ولقى كتاب زاد المسافر شهرة كبيرة حيث ترجمة إلى اللاتينية قسطنطين الأفريقي وإلى اليونانية سيتسيوس وألف كتاب الأدوية المركبة في عشرين جزءاً وكتاب العناية بالطفل الذى حدد فيه أنواع العناية بالطفل من الحمل حتى سن البلوغ⁽³⁶⁾، وظهرت مدرسة ساليرنو في الطب في القرن الحادي عشر الميلادي بجهود قسطنطين الأفريقي وظهر أطباء مثل بترو الصقلي وجوفانى بن قسطنطين الصقلي⁽³⁷⁾.

الخاتمة

أسست مدرسة طب القيروان في عهد دولة الأغالبة في تونس واستمرت في عهد الفاطميين حتى القرن الرابع الهجري فكانت بها نهضة علمية حضارية اسلامية كبيرة وتأسست هذه المدرسة على يد اسحاق بن عمران الذي يعتبر مؤسس هذه المدرسة وكان طبه وكتبه هي اللبنة الأولى لهذه المدرسة.

ومن علماء مدرسة القيروان الطبية المشهور اسحاق بن عمران الملقب بالساعة والطبيب اسحاق بن سليمان العبري والطبيب زياد بن خلفون بن الأغلب (المتوفي عام 308 هـ) والطبيب أبو الفضل بن الفضل بن على بن ظفر (المتوفي عام 323 هـ) ومن الأطباء سهيل بن دونش ولقي الطبيب أحمد بن الجزار القيرواني شهرة عالمية في القرن الرابع الهجري حيث ألف أكثر من خمسة عشر مؤلفاً في الطب وترجم من اليونانية كتب كثيرة وضمت مكتبته كتب نادرة من المؤلفات اليونانية والعربية قيل أن وزنها بعد وفاته خمسة وعشرون قطاراً من الكتب، ومن كتبه في الطب المعدة وأمراضها ومداوتها حققه سلمان قطايه ونشره في بغداد دار الرشيد 1980م وكتابه رسالة في البول وأبدال العقاقير وكتاب طب الفقراء والمساكين وغيرها من الكتب الكثيرة .

كان ابن الجزار ذا اختصاصات طبية متنوعة ومعرفة عميقة بتلك الاختصاصات فقد كان ذا علم بطب الأطفال وطب المشايخ وطب الفقراء وأمراض المعدة وأمراض الجلد وأمراض النساء وأمراض الكلى وأمراض الفم وأمراض مجارى البول وآلات التناسل وأمراض الرأس والأمراض الباطنية والجهاز العصبي، وكان في ميدان الصيدلة عالماً بالأدوية المفردة البسيطة والأدوية المركبة وأبدال الأدوية الساموم ومنافع الحيوان ومصالح الأغذية وطبائع المعادن ومع ذلك كان طبيباً وصيدلياً ممارساً فقد كان له في منزله عيادة يستقبل فيها المرضى ويعالجههم وأقام صيدلية في منزله كان يعد بها الأدوية المركبة والأشربة والمعاجين والمراهم والأقراص.

(34) ابن أبي أصبيعة: المصدر السابق، ص 319.

(35) أحمد محمد الجمال: المرجع السابق، ص 109.

(36) سمير يحيى الجمال: الطب والصيدلة المصرية في العصر الإسلامي تاريخ المصريين، ج 3 عدد 156 القاهرة 1999 ص 99.

(37) ميكيلي أماري: المرجع السابق، ص 669.

يعد ابن الجزار أول من فصل بين الطب والصيدلة في الممارسة والتأليف وكانت له مدرسة طبية بالقيروان وانتشرت كتبه في المشرق والمغرب ومن تلامذته كما يذكر ابن جليجل في طبقاته أبو حفص عمر بن بريق الذي قصد القروان وتعلمذ علي يد ابن الجزار وهو الذي أدخل إلى الأندلس كتاب زاد المسافر وخدم عبدالرحمن الناصر (300-350 هـ).

وقد نقل العديد من الأطباء العرب عن ابن الجزار في مجال الطب منهم أبو القاسم الزهراوي في كتابه (التصريف لم عجز عن التأليف وابن سينا في القانون في الطب ويونس ابن اسحاق والشريف الإدريسي في الجامع لصفات أشتات النبات وابن البيطار في الجامع لمفردات الأدوية والأغذية).

وترجم كتب علماء مدرسة طب القيروان إلى اللاتينية قسطنطين الأفريقي ووصلت كتبهم الطبية إلى صقلية التي فتحت في عهد دولة الأغلبة عام 212هـ على يد القائد أسد بن الفرات فكانت أساس الطب الأوربي الحديث. ثم أخذت علماء اسبانيا وإيطاليا من ترجمات قسطنطين الأفريقي الطبية التي سارت أساساً لكتب الطب الحديث في أوروبا كلها.